Al-Mīthāq ***(Research Journal of Islamic Theology)***
ISSN: 2791-0989 (P), 2791-0997 (E)
Volume 03, **Issue** 01, January-June 2024, **PP**: 53-63
Open Access at: https://almithaqjournal.org/

Article QR

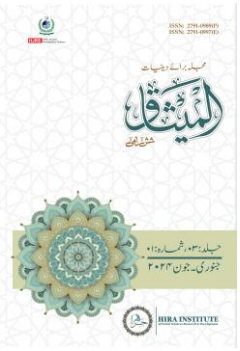

إسهامات علماء القرن الثالث الهجري في التفسير اللغوي

The Contribution of Muslim Scholars to Linguistic Investigation of The Qur'ān in 3rd Century AH

1. Dr. Iffat Batool
iffat.batool@iiu.edu.pk
Assistant Professor,
Department of Tafseer and Quranic Sciences,
International Islamic University, Islamabad.

2. Dr. Sadia Gul
sadia.gul@iiu.edu.pk
Assistant Professor,
Department of Tafseer and Quranic Sciences,
International Islamic University, Islamabad.

How to Cite:	Dr. Iffat Batool and Dr. Sadia Gul. 2024: "The Contribution of Muslim Scholars to Linguistic Investigation of The Qur'ān in 3rd Century AH". *Al-Mīthāq (Research Journal of Islamic Theology)* 3 (01): 53-63.
Article History:	**Received**: 15-03-2024 | **Accepted**: 20-05-2024 | **Published**: 30-06-2024
Copyright:	**©The Authors**
Licensing:	This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License
Conflict of Interest:	Author(s) declared no conflict of interest

Abstract & Indexing

Publisher

HIRA INSTITUTE of Social Sciences Research & Development

إسهامات علماء القرن الثالث الهجري في التفسير اللغوي

The Contribution of Muslim Scholars to Linguistic Investigation of The Qur'ān in 3rd Century AH

1. **Dr. Iffat Batool**
Assistant Professor,
Department of Tafseer and Quranic Sciences, International Islamic University, Islamabad.
iffat.batool@iiu.edu.pk

2. **Dr. Sadia Gul**
Assistant Professor,
Department of Tafseer and Quranic Sciences, International Islamic University, Islamabad.
sadia.gul@iiu.edu.pk

Abstract:

The third century *hijrī* holds profound significance in the linguistic exploration of the *Qur'ān*. This era witnessed pivotal exegetical developments that laid the foundations for the subsequent centuries. furthermore, the field of *Qur'ānic* studies experienced substantial progress, primarily attributed to numerous works during this period. Prominent among these contributions are seminal works delving into the linguistic characteristics of the *Qur'ān*. Noteworthy examples include "*Majāz ul Qur'ān*" by *Abū 'Ubaida Ma'mar b. al Muthannā* (d.210/826) and "*Al Ma'ānī al- Qur'ān*" authored by both *Al Farrā* (d.207/823) and *Al Akhfash*. These works have left an indelible mark on the scholarly discourse surrounding the *Qur'ān* linguistic intricacies. This paper aims to provide a comprehensive examination of the *Tafsīr* genre during the third Islamic *hijrī*. Additionally, it will delve into the specific methodologies and trends employed in these exegetical works, with a specific emphasis on the contributions of prominent figures such as *Muḥammad b. Idrīs al Shāf'eī, al Farrrā and Abū 'Ubaida.*

Keywords: *Qur'ān, Linguistic Exploration, Contributions, Tafsīr, Exegetical Works.*

المقدمة

إن القرن الثالث الهجري كان من أهم الأدوار في تطور الدراسات القرآنية من نواحيها المختلفة والمتنوعة. وكان من أهم سمات هذا القرن إبراز الإتجاه اللغوي في تفسير القرآن الكريم وهو ما يعرف ب"التفسير اللغوي .و يحاول هذا البحث إبراز اسهام علماء القران الثالث في التفسير اللغوي".فيبرز دور الإمام الشافعي في تناوله لهذا التفسير من خلال مؤلفاته كالرسالة وأحكام القرآن(جمعه البيهقي)،ولم يتطرق البحث إلى دراسة مفسري هذا القرن وذلك لأن أغلب تفاسيرهم كانت مأثورةو لم يذكروا في التفسير اللغوي الا المأثور.وتناول البحث أيضا ابراز جهود اللغويين في تفسير القرآن وخاصة أبو عبيدة معمر بن المثنى ممثلا أهل البصرة ،والفراء ممثلا لأهل الكوفة فبين البحث الجوانب اللغوية من النحو والبلاغة والدلالة اللغوية التي تناولتها هذه ا لمؤلفات.

المبحث الأول: تعريف المصطلح "التفسير اللغوي "وتطوره

نجد كثير من الأحيان في كتب التفسير القول عن الكلمة القرآنية بأن هذه الكلمة بلغة هذيل أو بلغة قريش.كلها تدل بأن "كلمة" لغة إذا أطلق فى كتب التفسير فالمراد به اللغة العربية و كلامنا "التفسير اللغوى" فيطلق على تفسيرالقرآن الكريم في ضوء لغةالعرب.وذلك معروف بأن القرآن أنزل بهذه اللغةفجديربأن يفسرو يفهم في ضوء

نفس اللغة.ولهذاعرف العلماءالتفسيراللغوى"بأنه بيان وشرح كلمات القرآن الكريم بماوردفى لغةالعرب.[1]

نشأة التفسير اللغوي

تعتبر اللغة مصدرا من مصادر التفسير عند السلف وكان اعتمادهم على هذا المصدر لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين فالأولى أن يفسر بما هم معروف.ومنه ما أشكل على عدي بن حاتم في فهم معنى الخيط في قوله تعالى: "وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر".[2]فقد فهم رضي الله عنه الخيط بما هو معروف في اللغة وهوما يخاط به من الملابس فوضع تحت وسادته خيط أبيض وخيط أسود،فراجع النبي ﷺ في ذلك فصحح له مفهومه وبين الصحيح بأن المراد بياض النهار وسواد الليل. ومنه: اختلاف الصحابة رضي الله عنهم في تفسير بعض الألفاظ القرآنية التي لها أكثر من دلالة لغوية، فحملها بعضهم على معنى وحملها الآخرون على معنى آخر.وهذا يدل على أنهم لم يتلقوا من النبي ﷺ بيانا نبويا في هذه اللفظة، ولو كان عند أحد منه بيان لما وقع مثل هذا الاختلاف.ولقد استمر الاعتماد على اللغة عند التابعين فقد كانت اللغة عندهم من مصادر التفسير المهمة.وايا ما كان الأمر فإنه من المعروف بأنه لم يجمع أحد من الصحابة أو التابعين كلام العرب و بيان معانيه و لم يظهر في ترجمة أحد منهم بأنه استعمل مصطلح "اللغوى".[3]

وكذلك لم يبرز اللغويين (في الإصلاح الخاص) إلا في القرن الثاني الهجرى.و كان ظهورهم إعلاما بأن هذاالتخصص العلمي لم ينسب قبلهم إلى جيل الصحابة والتابعين أى لا نستطيع أن نجد وصف "اللغوى" فى طبقة الصحابة و التابعين مع أنهم اهتموا بالتفسير اللغوى للقرآن الكريم.

المبحث الثاني: التفسير اللغوي و تطوره في القرن الثالث الهجري

شهد القرن الثالث الهجرى التطور فى حركة الترجمة و النشر و خلال هذه الحركة نقلت العلوم الكثيرة و الفنون إلى اللغة العربية. ترجمت كتب الفلسفة و الطب و الكيميا و المنطق و كذلك كتب الإلهيات من الديانات الأخرى مثل اليهودية و النصرانية و هذا أدى إلى التوسع الكبير من المباحث العلمية التي تركت أثرا على العلوم الإسلامية مثل علم التفسير و علم الكلام.[4]و يعتبر هذا القرن عصر ازدهار في العلوم عامة و العلوم الإسلامية خاصة و كذالك يعتبر مرحلة التأسيس لتفسير اللغوى و المفسرو هذاالقرن هم الذين يعد المؤسسين الذين رفعوا اللبنة الأولى لهذا الاتجاه. و كانوا رواد في مرحلة تأسيس التفسير اللغوى.[5] و النطرة العامة على هذا القرن يكشف الحقيقة بأن أتجاه التفسير اللغوي كان من أبرز الإتجاهات في ذلك الوقت.سنتكلم في هذاالمبحث عن المفسرين أولا ثم اللغويين الذين تساهموا في هذا الجانب.

الأول: أبرز المفسرين و إسهاماتهم في التفسير اللغوى

كما ذكرنا في المقدمة بأن مفسري القرن الثالث كان أكثرهم مؤلفين للرويات التفسيرية ولهذاالسبب لم يذكروا آراءهم في التفسير اللغوى إلا نادرا. و على سبيل المثال ابن أبى حاتم جمع الروايات التفسيرية وفي كتابه و كذلك عبدالرزاق الصنعانى فعل مثله. فإذا وجد في تفسيرهم شئيا من التفسير اللغوى فأكثره من الماثور. و لهذا السبب اخترنا المفسر الوحيد ألاو هو الإمام محمد بن إدريس الشافعى . كان يعتبر الإمام الشافعى من أهم الرجال الذين ركزوا على التفسير اللغوى للقرآن الكريم و في الواقع طبق على تفسيره هذا المنهج لإبراز المعنى المرادة من نص القرآن الكريم. ولقد بلغ في علمه باللغة العربية وسعة إطلاعة فيها إلى هذاالحد بأن علماء اللغة شهدوا له بالتقدم والفضل والحجية في هذاالميدان. حتى قال على ابن هشام بأنه قوله فى اللغة حجة.[6]

إسهام الإمام الشافعي في التفسير اللغوي من خلال كتابيه أحكام القرآن والرسالة

هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب[7]. ولد بغزة سنة خمسين ومائة وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين.[8] تلقى الإمام والفقيه المعروف العلم

بجميع شعبه على أيد أجلاء نذكر منهم:مسلم بن خالد الزنجي، ومالك بن أنس، وابن عيينة. و أخذ العلم من هذا الفقيه الجليل أحمد بن حنبل، وأبو إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى المزني، والربيع بن سليمان المرادي.[9]

إسهام الإمام الشافعي في التفسير اللغوي

لقداهتم الإمام الشافعي بهذاالجانب في كتبه"أحكام القرآن"و "الرسالة"لما لها من أثر في استنباط الأحكام نتناول بعض هذه الجوانب:

تناوله لمترادفات اللفظ واستشهاده بالشعر

كان الإمام الشافعي يعتني ببيان المعاني من كلام العرب وإن وجدت للكلمة مترادفات وهو ما تكون ألفاظا مختلفة ومعناها واحد فيوردها. وفي إبراز معاني القرآن الكريم بالرجوع إلى الشعر يدل على تأثره الشديد بمدرسة التفسير المكية التي كان إمامها ترجمان القرآن الصحابي الجليل عبدالله بن عباس.[10]مثاله:قال الله تبارك وتعالى: ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره.[11]. ففرض عليهم حيث ما كانوا: أن يولوا وجوههم شطره. و «شطره» : جهته في كلام العرب. إذا قلت: «أقصد شطر كذا» : معروف أنك تقول: «أقصد قصد عين كذا» يعني : قصد . وكذلك: «تلقاءه وجهته ، أي: أستقبلتلقاءه وجهته. وكلها بمعنى واحد: وإن كانت بألفاظ مختلفة.قال خفاف بن ندبة: "ألا من مبلغ عمرا رسولا وما تغني الرسالة شطر عمرو" وقال ساعدة بن جؤية: "أقول لأم زنباع: أقيمي صدور العيس، شطر بني تميم"ـ وقال لقيط الإيادي: "وقد أظلكم من شطر ثغركم هول له ظلم تغشاكم قطعا" وقال الشاعر: "إن العسيب بها داء مخامرها فشطرها بصر العينين مسحور"ـ قال الشافعي: يريد: [تلقاءها] بصر العينين ونحوها-:تلقاء جهتها.» . وهذا كله- مع غيره من أشعارهم- يبين: أن شطر الشيء:قصدعين الشيء:إذاكان معاينا.[12]وقال ايضا:فشطره وتلقاؤه وجهته:واحدفي كلام العرب.[13] في هذا المثال بين الإمام الشافعي المترادفات اللغوية للفظ"شطر" ثم استشهد على ذلك بأشعار العرب.

معنى المفردة في اللغة

قال تعالى في كتابه المجيد: "واذ جعلنا البيت مثابة للناس ـ[14]قال الشافعي: المثابة- في كلاب العرب: الموضع: يثوب الناس إليه، ويؤوبون: يعودون إليه بعد الذهاب عنه . وقد يقال: ثاب إليه: اجتمع إليه فالمثابة تجمع الاجتماع ويؤوبون: يجتمعون إليه: راجعين بعد ذهابهم عنه، ومبتدئين.قال ورقة بن نوفل ، يذكر البيت: "مثابا لأفناء القبائل كلها تخب إليه اليعملات الذوابل"ـ" وقال خداش بن زهير [النصري] :" فما برحت بكر تثوب وتدعي ويلحق منهم أولون فآخر."[15]

ذكره للسياق

يعتبر الإمام الشافعي من العلماء الذين لهم الأسبقية في بيان ما للسياق من أهمية في تحديد المعنى ويظهر ذلك من أنه خصص للسياق في كتابه الرسالة بابا سماه"الصنف الذي يبين سياقه معناه" ووضح أهمية السياق عند تناوله لأنواع الخطاب حيث قال: أن يخاطب بالشيء منه عاما، ظاهرا، يراد به العام، الظاهر، ويستغنى بأول هذا منه عن آخره. وعاما ظاهرا يراد به العام، ويدخله الخاص، فيستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه؛ وعاما ظاهرا، يراد به الخاص. وظاهرا يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره. فكل هذا موجود علمه في أول الكلام، أو وسطه، أو آخره.

وتبتدئ الشيء من كلامها يبين أول لفظها فيه عن آخره. وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله. وتكلم بالشيء تعرفه بالمعنى، دون الإيضاح باللفظ، كما تعرف الإشارة، ثم يكون هذا عندها من أعلى كلامها، لانفراد أهل علمها به، دون أهل جهالتها.وتسمي الشيء الواحد بالأسماء الكثيرة، وتسمي بالاسم الواحد المعاني الكثيرة.[16] ويلحظ مما سبق أن الإمام الشافعي يوضح أهمية السياق في إيضاح المعنى واظهاره بقوة ويدلل على هذا بعضا

من كلامه فمثلا قوله" ويستغنى بأول هذا منه عن آخره"بعد أن ذكر الخطاب للعام ويراد به العام.وقوله" وظاهرا يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره. فكل هذا موجود علمه في أول الكلام، أو وسطه، أو آخره".هنا يوضح بأن السياق هو المعين في بيان هل المراد هو الظاهر أو غيره ك ذلك يعرف من أول الكلام أو وسطه أو آخره.وأوضح دليل من نصه هذا على السياق وهو أن الأول من الكلام يبين الآخر والآخر يبين الأول قوله" وتبتدئ الشيء من كلامها يبين أول لفظها فيه عن آخره. وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله" .ومثال السياق الذي استدل به الإمام الشافعي: قال الله تبارك وتعالى:

واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا، ويوم لا يسبتون لا تأتيهم. كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون.[17]

فابتدأ - جل ثناؤه - ذكر الأمر بمسألتهم عن القرية الحاضرة البحر، فلما قال: " إذ يعدون في السبت "الآية، دل على أنه إنما أراد أهل القرية؛ لأن القرية لا تكون عادية، ولا فاسقة بالعدوان في السبت ولا غيره، وأنه إنما أراد بالعدوان أهل القرية الذين بلاهم بما كانوا يفسقون.[18]

الثاني: أبرز اللغويين و إسهاماتهم في التفسير اللغوى

لقد ظهرت في القرن الثالث الهجرى الإتجاهات المتنوعة فى التفسير اللغوى للقرآن الكريم. فظهر إتجاه اللغويين و النحويين إلى اختصاص القرآن الكريم بتأليفات تتحدث عن لغته و إعرابه و تحليل معانيه عرفت تلك الكتب باسم "معاني القرآن" و فى الحقيقة ظهر هذاالعنوان فى القرن الثاني الهجري أول مرة و ظل متداولا ما يزيد عن أربعة قرون.وكذلك ظهر إتجاه آخر في التفسير اللغوى اهتم بإعراب القرآن الكريم فأفرد بعض اللغويين مؤلفاتهم بهذاالعنوان. وصنف آخر من العلماء اللغويين أظهروا مهارتهم فى موضوع آخر و هو "مشكل القرآن"-

المبحث الثالث : التفسير اللغوى بين البصرة و الكوفة

كان من نتيجة الدراسات اللغوية و النحوية التى كانت في القرن القرن الثالث الهجرى نشوء مدرستين فى النحو هممدرسة الكوفة و البصرة. و كل منهما كانتا تقدم على أسس و قواعد معينة المتعلقة بالإعراب ووالبناء العام للكلمات.و كان لكل منهما رجال بارزين الذين اددوا دورهم في نموء المدرستين و في مقالنا هذا اردنا أن نختار إثنين من علماءالبصرةوالكوفةنموذجاحتى نلقى الضوء على إسهامات هؤلاء العلماء فى التفسير اللغوى للقرآن الكريم. و أخترنا من هؤلاء العلماء يحي بن زياد الفراء الكوفى و معمر بن مثنى البصرى نظرا إلى علمهما الزاخر و آراءهما القيمة في هذاالميدان.و سبق أن أشرنا بأننا سنتكلم عن أسهام العالمين في ميدان خاص و هو معانى القرآن.

إن كتب التاريخ تذكر لنا تقريبا ثلاثة عشر مؤلفات بهذاالعنوان كتبت في القرن الثالث الهجرى. النظرة العامة على مؤلفات معانى القرآن تتضح بأن مؤلفو تلك الكتب قد اختلفوا فى مناهجهم من نواحى عديدة فمنهم من غلب عليه جانب الإعراب على التفسير كما فعل الأخفش في كتابه و منهم من جمع بين التفسير و الإعراب و ذلك ما فعله الفراء فى كتابه.و قد ظل هذا المصطلح متدا ولا حتي الي القرن السادس الهجري.

الأول: يحي بن زياد الفراء الكوفى

هو أبو زكريا يحي بن زياد الأسلمى المعروف بالفراء الكوفى الديلمى و يذكر الوجوه المختلفة فى معنى لقبه({الفراء) وعلى أشهدها بأنه (كان يفرى الكلام) يعنى يحسن تقطيعه و تفصيله.[19]

ولد فى الكوفة سنة 144 هـ و كانت الكوفة فى ذلك الزمن حافلة بالشيوخ.[20]تلمذ الفراء لشيوخ عديدة و منهم قيس بن الربيع،أبوجعفر الرواسى و من أهمهم على بن حمزه الكسائى وغيرهم. وكذلك في أبرز تلاميذه سلمة بن عاصم ومحمدبن الجهم السمرى راويا الكتاب "معانى القرآن". يعتبر الفراء إمام و زعيم الكوفيين بعد الكسائى و كان بارعا في النحو و اللغة و قد حصل على هذه المنزلة العظمى بفضل علمه العزيز و ثقافته الواسعة.

مكانة معانى القرآن للفراء

إن كتاب الفراء من أبرز المؤلفات و ابرعها و هي تعد من المصادر المهمة بل أساسية لنحو الكوفيين و مذهبهم و خاصة بعد"الكسائى"تعتبرمؤلفاته منبع الأصول النحويةالكوفية.وكذلك هومن اقدم التفاسير اللغوية الموصولة إلينا و مرتبه على ترتيب الآيات و السور. إن كتاب الفراء قد حصل على المكانة العالية من بين كتب المعاني الأخرى حتى فى حياته. ويروى بأن الفراء عندما كان يملي كتابه "المعاني" اقبل العلماء و الطلاب و عامة الناس عليه إقبالا شديدا حتى يقول أبو بريدة: "فأردنا أن نعد الناس الذين اجتمعوا لإملاء المعانى فلم نضبط عدوهم".[21]

سبب التأليف في معاني القرآن

إن النظرة العامة فى كتب التاريخ تخبرنا بإن إنتشار العجمة و الضعف فى اللغة العربية هو السبب الرئيسي لكتابة فى هذاالميدان. زاد الناس فى هذاالزمن فى تساؤلاتهم حول معانى القرآن و مشكله. وكان عامة الناس و خواصهم يلقون الأسئلة على العلماء فكان واحد يقوم بتاليف الكتاب إجابة لتلك التساؤلات و يمليه فى المجالس. فيذكر بأن سبب تأليف "مجاز القرآن" لأبي عبيدة معمر بن المتنى كان سؤال الوزير عن الآية الواحدة من القرآن الكريم.[22] وكذلك وضع الأخفش الأوسط كتاب "معانى القرآن" على طلب من أستاذه الكسائى الذى كان يسأل كثيرا فى مجلس هارون الرشيد.[23]

اسهام الفراء في التفسير اللغوي في كتابه"معاني القرآن "

أولا:اهتمامه بالنواحي اللغوي: إن الفراء ... كما ذكر ... إهتم بالنحو أكثر من بيان دلالة الألفاظ في تفسيره و كثيرا من الأحيان يستشهد للمسائل النحوية بالشعر العربي خلافا لبيانه معاني الألفاظ فلا يستشهد إلا نادرا كما نجد في بعض الأمثلة من سورة البقرة: قال الله تعالى: "فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ" [24] يريد نحوه و تلقاءه. إن الفراء كان مرجعا في بيان معاني و دلالات الكلمة و لهذا قد اعتمد عليه كثير من العلماء بعدهم مثل الأزهري في كتابه تهذيب اللغة.و كذلك كان يحرص على بيان لغات العرب عند شرحه لمعنى الكلمة و كذلك يميل إلى بيان طريقة نطقها للكلمات و مثاله من سورة البقرة عند قوله في تفسير الآية:

وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا۔[25]

فإن الفوم فيما ذكر لغة قديمة و هي الحنطة و الخبز جميعا قد ذكرا۔قال بعضهم: سمعنا العرب من أهل هذه اللغة يقولون: فوموا لنا بالتشديد: يريدون، اختبزوا،و في هذا المثال نص على ما نقد له العرب او القبيلة معينة

ثانيا:اهتمامه بالنواحي البلاغية: بيانه لأساليب العرب في القرآن :يبين الفراء كثير من الأساليب العربية النحوية و يذكر الأمثلة لتوضيحها و على سبيل المثال يقول الفراء عند قوله تعالى: وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ[26] فأنه أراد: حب العجل، و مثل هذا مما تحذفه العرب كثيرا، قال الله تعالى: وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا۔[27] والمعنى سل أهل القرية وانشد ني المفضل:

حسبت بغام راحلتي عناقا و ما هى ويب غيرك بالعناق

و معناه: بغام عناق. و العرب تقول: إذا سرك إن تنظرإلى السخاء فانظر إلى هرم أو إلى حاتم.و رأينا في ذلك بأنه لم يكن القول في الحذف فقط بل استشهدا يقول العرب و شعرهم في ذلك.

اسهام أبو عبيدة معمربن المثنى في التفسير اللغوي في كتابه"مجازالقرآن"

اسمه ونسبه ومولده:أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري اللغوي[28]مولى بني تيم؛ تيم قريش؛ رهط أبو بكر الصديق.[29]وقد اختلف المترجمين له في مولده قيل كان في سنة عشر ومائةوقيل سنة أربع عشرة ومائة، في الليلة التي توفي فيها الحسن البصري.[30] ولم تحدد المصادر مكان ولادته إلا أن الروايات الواردة عنه تبين أنه من أهل البصرة وعاش فيها.[31] لقي الإمام أبو عبيدة مكانة عالية في الوسط العلمي حيث أثنى عليه أهل العلم.وأظهر

تقدمه على أقرانه في عم النحو ومما يشهد له قول المبرد:

كان الأصمعي وأبو عبيدة متقاربان في النحو، وكان أبو عبيدة أكمل القوم.[32]

تلقى أبو عبيدة العلم عن شيوخ أفاضل كان لهم الفضل في تكوين هذه الشخصية الفذة البارعة في اللغة وعلومها مثل هشام بن عروة وأبي عمرو بن العلا. تلقى العلم على يد هذا العالم الفذ تلامذة كثيرين أصبحوا فيما بعد من العلماء الأجلاء.

التعريف بكتاب "مجاز القرآن"

نقلت كتب الترجمة لأبي عبيدة هذا السبب برواية وهي أن الفضل بن الربيع أقدمه من البصرة ليستمع منه أشعار العرب وأخبارها،وكان في مجلسه رجل في هيئة حسنة فسأله عن مسألة اشكلت عليه في فهم آية من القران الكريم ،فأجابه أبوعبيدة بجواب مقنع استحسنه السائل.وعزم أبو عبيدة منذ ذلك اليوم أن يضع كتابا في القرآن، وبعد رجوعه للبصرة بدأ كتابه هذا وسماه"مجاز القرآن".[33]

مقصود أبي عبيدة من إطلاق هذه التسميةللكتاب

استعمل أبو عبيدة في كتابه هذا عند تفسيره للآيات كلمات مثل"«مجازه كذا»،و«تفسيره كذا»،و«معناه كذا»،و «غريبه»و«تقديره»،و«تأويله»على أن معانيها واحدة أو تكاد، ومعنى هذا أن كلمة «المجاز» عنده عبارة عن الطرق التي يسلكها القرآن فى تعبيراته-[34] فلم يكن مراد أبي عبيدة من كلمة"المجاز"مايعنيه البلاغيون من المصطلح المعروف لديهم وإنما يقصد مناقشة القضايا اللغوية التي تتعلق بالذكر الحكيم تلك القضايا التي تشمل المعاني والإعراب والتقدير والتأويل والتفسير.[35]

إسهام أبو عبيدة في التفسير اللغوي من خلال كتابه مجاز القرآن

من تعريف التفسيراللغوي استخلصناأنه التفسيربلغةالعرب والمرادألفاظها وأساليبها التي نزل بها القرآن.وتشمل النواحي اللغوية،والنواحي النحوية،والنواحي البلاغية ومن هذه النواحي نحاول إبراز جهود أبي عبيدة في التفسير اللغوي:

اولا: اهتمامه بالنواحي اللغوية

لا يغفل قارئ مجاز القرآن أن يصل إلى أن صاحبه لغوي بالمقام الأولعليم بلغات العرب وغريبها، يوجّه اهتمامه الأول عند التفسير إلى شرح ما يراه يستحقّ الشرح من مفردات القرآن، مستعينًا ببعض الآيات المماثلة أو فصيح الكلام من غير أن يغفل الاستشهاد بالشِّعْر القديم، وخاصّة الرجز الممتلئ بأوابد اللغة وشواردها .

استشهاده بالشعر

"لا رَيْبَ فِيه" [36] لا شكّ فيه، وأنشدنى أبو عمرو الهذليّ لساعدة بن جؤيّة الهذليّ:

فقالوا تركنا الحيّ قد حصروا به ... فلا ريب أن قد كان ثمّ لحيم

أي قتيل، يقال: فلان قد لحم، أي قتل، وحصروا به: أي أطافوا به، لا ريب:لا شكّ.[37] في هذا المثال بين أبو عبيدة معنى لاريب وهو بمعن لاشك واستشهد لهذا المعنى ببيت الشعر للاستدلال بصحة المعنى الذي ذهب إليه، ولم يكتف بذلك بل شرح بعض الكلمات الموجودة في البيت والكلمة المرادة بالاستشهاد.

ذكره لوجوه المعاني للمفردة القرآنية

مثاله:في قوله تعالى"المفلحون"[38]: كل من أصاب شيئا من الخير فهو مفلح، ومصدره الفلاح وهو البقاء، وكل خير، قال لبيد بن ربيعة:

نحلّ بلادا كلها حلّ قبلنا ... ونرجو الفلاح بعد عاد وحمير

الفلاح أي البقاء، وقال عبيد بن الأبرص:

أفلح بما شئت فقد يدرك بالضّعف ... وقد يخدع الأريب

والفلاح في موضع آخر: السّحور أيضا. وفي الاذان: حيّ على الفلاح وحيّ على الفلح جميعا والفلّاح الأكار، وانما اشتقّ من: يفلح الأرض أي يشقّها ويثيرها، ومن ذلك قولهم: إنّ الحديد يفلح .أي يفلق والفلاح هو المكاري في قول ابن أحمر أيضا:

لها رطل تكيل الزيت فيه ... وفلّاح يسوق لها حمارا.

فلّاح مكار، وقال لبيد:

اعقلي إن كنت لمّا تعقلي ... ولقد أفلح من كان عقل.

أي ظفر وأصاب خيرا.[39] ففي هذاالمثال ذكرالمعاني المحتملة للفظ الفلاح واستشهد على كل معنى ببيت من الشعر فهو كالدليل على هذا المعنى واختار المعنى اللائق بهذا المقام وهو البقاء واصابة الخير حيث ذكره أول الأمر.

الجمع لمترادفات الكلمة

في قوله تعالى"وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ"[40]يقول أبوعبيدة:ما بين قطرى المغرب وما بين قطرى المشرق،والمشارق والمغارب فيهما:فهومشرق كلّ يوم تطلع فيه الشمس من مكان لا تعود فيه إلى قابل، والمشرقين والمغربين: مشرق الشتاء ومشرق الصيف، وكذلك مغربهما،(القطر والقتر والحدّ والتّخوم واحد).[41] ففي هذا المثال ننظر أن الإمام أبي عبيدة شرح الآية ومعنى المشرقين والمغربين والمشارق والمغارب ثم ذكر مايساوى هذه الكلمة من الكلمات وذكر لها ثلاثة مترادفات.

ثانيا:اهتمامه بالنواحي البلاغية

مع تعرض الإمام أبي عبيدة للناحية اللغوية إلا أنه لم يغفل عن إبراز الناحية البلاغية بما فيها من البيان والمعاني والبديع في كتابه مجاز القرآن لما فيها من أهمية في إجلال اعجاز القرآن نورد على ذلك بعض الشواهد:

الغرض من الإستفهام

في قوله تعالى"أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها"[42] يقول أبو عبيدة:جاءت على لفظ الاستفهام، والملائكة لم تستفهم ربّها، وقد قال تبارك وتعالى: "إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً" ولكن معناها معنى الإيجاب: أي انك ستفعل. وقال جرير، فأوجب ولم يستفهم، لعبد الملك بن مروان:

ألستم خير من ركب المطايا ... وأندى العالمين بطون راح.

وتقول وأنت تضرب الغلام على الذنب: ألست الفاعل كذا؟ ليس باستفهام ولكن تقرير. نرى في هذا المثال أن الإمام أبي عبيدة أشار أن الأستفهام في هذه الآية ليس على حقيقته بل جاء لغرض الإيجاب والتقرير ولهذا المعنى استشهد بالشعر وبمثل من الواقع لمزيد من الإيضاح والتبيين.

التشبيه

"نساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ"[43] يقول أبو عبيدة:كناية، وتشبيه، قال: "فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ".[44] ذكر الإمام أبو عبيدة الوجه البلاغي في الآية بدون شرحه وبيان هذا الوجه.

فائدة الحرف الزائد في الآية

في قوله تعالى"لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا ما بَعُوضَةً"[45] يقول أبو عبيدة:معناها: أن يضربمثلا بعوضة، «ما» توكيد للكلام من حروف الزوائد، قال النابغة الذبياني:

قالت ألا ليت ما هذا الحمام لنا ... إلى حمامتنا ونصفه فقد

أي حسب، و «ما» هاهنا حشو.[46]يبين أبو عبيدة أن ما حرف وإن كان زائدا إلا أنه يفيد توكيد الكلام.

المكرر للتوكيد(الأطناب)

في قوله تعالى"فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كامِلَةٌ"[47] يقول أبو عبيدة: العرب تؤكد الشيء وقد فرغ منه فتعيده بلفظ غيره تفهيما وتوكيدا.[48] أشار أبو عبيدة أن في هذه الآية لفظ كاملة تفيد التوكيد فأنه يمكن ان يكتفى بلفظ عشرة لكن جاء بلفظ كاملة لمزيد من التأكيد.

ثالثا :اهتمامه بالناحية النحوية

اعتنى صاحب مجاز القرآن هذه الناحية واولاها بالأهمية لما فيها من أثر كبير في فهم القرآن الكريم ولكن لم تكن الناحية هي الغالبة على هذا الكتاب. نورد هنا بعضا من الشواهد النحوية لتكون دليل على ما ذكرنا.

رفع المصدروحذف المبتدأ

في قوله تعالى"وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ"[49] يقول أبو عبيدة : (وَقُولُوا حِطَّةٌ) رفع، وهى مصدر من حطّ عنا ذنوبنا تقديره مدّة من مددت، حكاية أي قولوا: هذا الكلام، فلذلك رفع.[50] يعني أن هذا خبر لمبتدأ محذوف تقديره :هذا الكلام.

زيادة إذ في الكلام

في قوله تعالى(وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا)[51] يقول أبو عبيدة: معناه: وقلنا للملائكة، وإذ من حروف الزوائد، وقال الأسود بن يغفر:

فإذا وذلك لا مهاه لذكره ... والدهر يعقب صالحا بفساد

ومعناها: وذلك لا مهاه لذكره، لا طعم ولا فضل وقال عبد مناف بن ربع الهذليّ وهو آخر قصيدة:

حتى إذا أسلكوهم فى قتائدة ... شلّا كما تطرد الجمّالة الشردا

معناه: حتى أسلكوهم.[52]

انتصاب المفعول به بفعل محذوف

في قوله تعالى"بلْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ"[53] :انتصب،لأن فيه ضمير فعل كأن مجازه بل اتبعواملةإبراهيم،أو:عليكم ملة إبراهيم.[54] في هذاالمثال أضاف أبوعبيدةب عليكم ملة وهواسم فعل مضمروهوفعل حقيقي عندالكوفيين، واسم فعل من مصطلحات البصريين.

النتائج:

- إن الامام الشافعي هوالمفسرالوحيد(حسب علمنا)الذي اهتم ببيان معاني آيات القرآن بكلام العرب برأيه.والمفسرون غيره وإن إهتموابتفسيراللغوي فقد إكتفى أغلبيتهم علي الأثر. أكثر الإمام بالاستشهاد بأشعارالعرب لتأييدالمعاني اللغوية. و أشار أيضا عند بيانه للفظة القرآنية إلى ما يتعلق به من مترادفات لغوية . و نجده يهتم ببيان ما للسياق من أهمية في تحديد المعنى اللغوي عند تفسير القرآن.
- يعتبر الامام الفرامن المدرسة الكوفة مصدرا بعد الكسائى حيث شارك في التفسير اللغوي الي حد كبير و ان كان له أرا ء انفرد بها.
- كان للإمام أبوعبيدة معمر بن المثنى من اللغويين البصريين دور كبير في شرح وتفسيرالقرآن بكلام العرب والاستشهادبأشعارها.كذالك أشارإلى النواحي البلاغية في القرآن الكريم وذلك لما لهامن أهميةفي اظهار اعجازالقرآن.وكما إهتم بالبلاغةواللغةكذالك تناول المسائل النحويةعندتفسيرالقرآن الكريم .

الهوامش

1 الطيار، مساعدبن سليمان، **التفسير اللغوي للقرآن الكريم**، (قاهرة:دارابن الجوزي، 1432ه)، ص38.

2 سورة البقرة2:187.

3 الطيار، **التفسيراللغوي**، ص112.

4 أحمدأمين، **ضحى الإسلام**، (مصر:لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1351ه-1933م)، 8/2.

5 الخالدى، صلاح عبدالفتاح، **تعريف الدراسين بمناهج المفسرين**، (دمشق:دارالقلم، بدون سنة)، ص40.

6 البيهقى، احمدبن الحسين، **مناقب الشافعى**، تحقيق:السيدأحمدصقر، (قاهرة:مكتبةدارالتراث، بدون سنة)، 42/2.

7 الذهبى، محمدبن احمدبن عثمان، **تذكرةالحفاظ**، (بيروت:دارالكتب العلمية، 1419ه- 1998م)، 265/1.

8 السيوطى، عبدالرحمٰن بن ابى بكر، **طبقات الحفاظ**، (بيروت:دارالكتب العلمية، 1403ه)، ص157.

9 ايضاً.

10 محب الدين عبدالسبحان، **منهج الإمام الشافعى فى تفسيرآيات الأحكام**، رسالةمقدمةلنيل درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية فرع الكتاب والسنة، ص 147 - 377.

11 سورة البقرة2:24.

12 الشافعى، محمدبن ادريس، **أحكام القرآن**، (قاهرة:مكتبة الخانجي، 1414ه- 1994م)، 70/1.

13 ايضاً، 68/1.

14 سورة البقرة2:125.

15 الشافعى، **أحكام القرآن**، 119/1.

16 الشافعى، محمدبن ادريس، **الرسالة**، تحقيق:أحمدشاكر، (مصر:مكتبةالحلبي، 1358ه-1940م)، ص50.

17 سورة الأعراف7:163.

18 الشافعى، **الرسالة**، ص62.

19 انظر:المروزى، ابوسعد، **الأنساب**، تحقيق:عبدالرحمن بن يحيى اليماني وغيره، (حيدرآباد:مجلس دائرةالمعارف العثمانية، 1382ه-1962م)، 352/4.

20 البغدادى، احمدبن على الخطيب، **تاريخ بغداد**، (بيروت:دارالكتب العلمية، بدون سنة)، 155/14.

21 ياقوت الحموى، **معجم الأدباء**، تحقيق:إحسان عباس، (بيروت:دارالغرب الإسلامي، 1414ه-1993م)، 12/19.

22 ايضاً، 158/19-159.

23 ايضاً، 168/13.

24 سورةالبقرة2:144.

25 سورةالبقرة2:61.

26 سورةالبقرة2:93.

27 سورةيوسف12:82.

28 الذهبى، **تذكرةالحفاظ**، 272/1.

29 السيوطى، جلال الدين، **بغيةالوعاةفي طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق:محمدأبوالفضل إبراهيم، (لبنان:المكتبة العصرية، بدون سنة)، 294/2.

30 الذهبى، شمس الدين، **سيرأعلام النبلاء**، تحقيق:شعيب الأرناؤوط، (دمشق:مؤسسةالرسالة، 1405ه-1985م)، 445/9.

31 البغدادى، **تاريخ بغداد**، 254/13.

32 الذهبى، شمس الدين، **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهيروَالأعلام**، تحقيق:بشارعوّادمعروف، (قاهرة:دارالغرب الإسلامي، 2003م)، 201/5.

33 انظر:ابن خلكان، شمس الدين احمدبن محمد، **وفيات الأعيان**، (بيروت:دارصادر، بدون سنة)، 235/5.

34 انظر:ابن المثنى، ابوعبيدة معمر، **مجاز القرآن**، (قاهرة:مكتبةالخانجى، 1381ه)، 19/1.

35 انظر:معمرشباب،**التفسير اللغوي ومناهجه عندأهل الرأي مجاز القرآن أنموذجا**،مجلةأنثروبولوجية الأديان،المجلد 16،العدد1، 2020م،ص15.

36 سورة البقرة2:2.

37 ابن المثنى،**مجازالقرآن**،29/1.

38 سورة البقرة2:5.

39 ابن المثنى،**مجازالقرآن**،31/1.

40 سورة البقرة2:115.

41 ابن المثنى،**مجازالقرآن**،51/1.

42 سورة البقرة2:30.

43 سورة البقرة2:223.

44 ابن المثنى،**مجازالقرآن**،73/1.

45 سورة البقرة2:26.

46 ابن المثنى،**مجازالقرآن**،34/1-35.

47 سورة البقرة2:196.

48 ابن المثنى،**مجازالقرآن** ،70/1.

49 سورة البقرة2:85.

50 ابن المثنى،**مجازالقرآن**،41/1.

51 سورة البقرة2:34.

52 ابن المثنى،**مجازالقرآن** ،36/1-38.

53 سورة البقرة2:135.

54 ابن المثنى،**مجازالقرآن**،57/1.